الإستراتيجية الماركيوزية للتحرّر من الأيديولوجية القمعية

خديجة أحمد مسعود

جامعة الجزائر2

ملخص:

يتناول البحث إستراتيجية ماركيوز للتحرر من الأيديولوجية القمعية وهي الآلية التي يمكنها تحقيق الانعتاق للإنسان، والعمل على تأسيس مجتمع يسمح بظهور الإنسان المركب متعدد الأبعاد، فهي توظف كل العناصر والآليات الجديدة في أجل زعزعة أركان النظام العقلاني القائم، من خلال مناهضة كافة الاتجاهات القمعية والقهرية في المجتمعات الحديثة .

الكلمات الدلالية: التحرّر – القمع – الإيديولوجية – عقلانية النظام – السيطرة.

Abstract:

The project outcome consists of Marcuse' Strategy of The liberation from the Ideology of Repression. And it is the mechanism which could detach the humankind.

Besides, it is about founding a society which allows the appearance of an omnipotent human being, which integrates all the new mechanism for establishing the pilars of rationality of the Established system and manifest about all the tendencies and sorts of Repression and Oppression in the Contemporary societies.

مقدمة:

كانت السيطرة ومازالت حقيقة أساسية من حقائق المجتمع البشري، غير أن أشكال القهر والسيطرة يختلفان باختلاف العصور، وفي هذا السياق يمكن الحديث عن قراءة المفكر والناقد هربرت ماركيوز (1898-1979) التي تعد دراسته تحليلية نقدية للمجتمع الصناعي المتقدم باعتبارها ليست مجرّد دراسة للمحتوى المعرفي بل الآلية المنتجة له.

والملمح أن ماركيوز يؤكد في دراسته النقدية على التشكيل و التنميط الذي طال جميع مناحي الإنسان، وأعجب أنواع السيطرة وأقواها تسلطا هي تلك التي تمارس في عصرنا الحالي (انطلاقا من التقدم التكنولوجي) الذي ينتظر منه أن يحقق إنسانية الإنسان المسالم، لهذا سعى جاهدًا إلى كشف إستراتيجية تحررية ، ودوافع متينة للحصول على الملاذ الحقيقي لخلاص الإنسان المعاصر من الخنوع العقلاني، وتحرّر الوعي الزائف تحررًا جديدًا.

من خلال دراستنا لهذا الموضوع فإنه يثير مجموعة من الإشكالات ومن أهمها فيما تتمثل معالم التحرر لدى هربرت ماركيوز؟ لأي مدى يمكن تفعيل إستراتيجية ماركيوز الثورية في ظل غياب دعائم التحرر؟ وما هي الإيديولوجية الماركيوزية التي تنفي وتحقق مسار العام لعقلانية النظام؟

إن التحليل الماركيوزي ينصب أساسا على البحث عن آليات جديدة تتجاوز تحكم عقلانية النظام، وذلك ليؤسس رؤية حضارية جديدة تتلاشى مظاهر التوجيه القهري، والتنميط القصدي لحياة الإنسان وترفض بالدرجة الأولى تنميط الوعي.

وتقوم الإستراتيجية الماركيوزية للثورة على عدة محاور:

1- الحساسية الجديدة :

رأى ماركيوز أن التحرر يقتضي تجاوز ما لحقه من التنميط، ومن الضروري تجاوز النظام القائم كما أكد ماركيوز على التقدم العلمي والتكنولوجي أن يوجه إلى خدمة الإنسان وتحرّره من مختلف أشكال السيطرة التي عرفها الإنسان المعاصر، وعليه يمكن أن يربط هذا النظام بالتحرر الإنساني وعلى هذا الأساس يلح ماركيوز على عامل الحساسية الجديدةThe New Sensibility ، حيث يقول: "لقد تحولت الحساسية الجديدة إلى عامل سياسي. هذا البحث الذي يمكن أن ينمّ عن نقطة تحول في تطور المجتمعات المعاصرة، يقتضي من النظرية النقدية أن تدمج هذا البعد الجديد في مفاهيمها وتوجه مضامينه إمكانا لبناء مجتمع حرّ.[1]"

بهذا المعنى أن الحساسية الجديدة بالنسبة لماركيوز تعتبر التحرر، وتبني الحاجة الحيوية لإلغاء الظلم والانعتاق من استمرارية السيطرة، هذا على

مستوى المجال النظري من اعتبارات الواقع في حين يقول ماركيوز: "و بالمقياس نفسه فقد تحولت الحساسية الجديدة إلى ممارسة (Praxis) إنها تنشأ من الكفاح ضد العنف والاستغلال حيث يوجه هذا الكفاح لإقامة طرق وأشكال جديدة للحياة: نفي الوضع القائم بكامله وكذلك أخلاقه وثقافته: [أي] إقامة مجتمع تنتهي فيه إزالة الملكية والكدح إلى عالم يصير الحسي واللعب والهدوء والجميل صورا للوجود ومن ثمة صورة المجتمع نفسه.(2)"

وبهذا المعنى يكون تحقيق التحرر يقتضي الاحتكام بإستراتيجية تنسجم فيها النظرية والعملية، حيث لا يجب الاعتماد فيما هو نظري فحسب، بل يجب التركيز على الجانب الرئيسي في كل تغيّر هو الممارسة الحقّة. مما سبق نرى أن ماركيوز يؤكد على دور الحساسية الجديدة كسبيل للتحرر ودعامة متينة للوصول إلى المستوى الحياتي الجديد المتكيّف مع تهدئة الوجود، كما يرى فيها أيضا قضاء على القمع والاستغلال وهذا ما يوضحه بقوله: "تشير هذه الظاهرة السياسية للحساسية الجديدة إلى عمق التمرد والقطيعة مع القمع والاضطهاد المستمر The political manifestation of new sensibility Indicate the depthof

rebellion, of the rupture With the continuum of repression"[3].

إن تصور ماركيوز للتحرر ينتج بالتركيز على ثلاث عوامل محورية قوة الحساسية وقوة العقل، والرابط بينهما هو الخيال، ومن ثم فإن التحرر عملية واسعة لا تستثني أي مجال، حيث أولّى اهتماما كبيرا إلى ضرورة انتشال الإنسان من عملية التقليص اللغوي التي يخضع إليها الاستمرار ويقول ماركيوز في هذا السياق: "رغم أن لغة المقاضاة والإعفاء في الماضي تشترك في تغييرها مع لغة الأسياد ومحتجزيهم وقد وجدت معناها وصحتها في الكفاح الثوري الفعلي الذي غير لاحقا المجتمعات القائمة.[4]

ومع ذلك فإن النفي الجذري للنظام القائم، وتحرير الوعي الجديد يتوقفان على وجود لغة بأوسع معاني الكلمة، لغة مغايرة، لغة نافية قادرة على توصيل هذا الوعي الجديد تناهض السيطرة، لأن اللغة على علاقة مباشرة بالفكر ومنه تتحدد قرارات الوعي بضروريات ومقتضيات الحياة، بحيث لغة الإنسان المعاصر استولت عليها مفاهيم العقل الأداتي. لذلك من الضرورة المطلقة إحداث تحرر منة لغة المجتمع ذي البعد الواحد society one – dimensionnel، شريطة ألا يحتفظ بنموذج اللغة القائمة بل يجب تحريرها، لذلك يؤكد ماركيوز: "إن العلاج اللغوي – أي

العمل على تحرير الكلمات (ومن تم التصورات) من التشويه الكامل الذي ألحقه بها النظام القائم يتطلب تحويل المعايير الأخلاقية وصحتها من النظام القائم إلى الثورة عليه.(5)"

وهذه الكيفيات منظمة وضرورية في عملية التغيير الجذري، كما يجب أن تكون لغة المنازعة والتحرير، وتحطيم الوعي الزائف، وقد نبه ماركيوز إلى تبريره لضرورة اعتماد لغة تقضي على التوتر بين الواقع والممكن، كون عقلانية السيطرة قد استبعدت عناصر التجاوز والأفكار النقدية التي تؤدي إلى تغير طراز الواقع القائم، لذا جاء تأكيد ماركيوز أن إمكانية التحرر تقتضي لغة جديدة غير اللغة القائمة بالمجتمع المقفل، وهذا ما يوضحه ماركيوز: "يهشم السياق الإيديولوجي الذي توظّف فيه الكلمات وتعرف، وهنا التمرد اللغوي المنظم ويضعها في السياق المضاد وهو نفي النظام القائم.(6)"

فالتحرر يفترض تبنّي نسق لغوي جديد يتمرّد على النظام القائم، وفجّر عالم الإنشاء المغلق وبعدها السياسي، ويهدف الاحتجاج الصارم وانقلاب منهجي في المعاني Methodical reversal of meaning وهو ما يبرّره السود مثلا هؤلاء فحسب ماركيوز، هم من يقولون تبنّي هذه اللغة

بالارتقاء بالمفاهيم الأكثر سموا، مع ما تمثله من نفي، ويعيدون تحديدها[7].

وبذلك فإن السود يتناولون لأنفسهم تصورات معينة لتجاوز القهر والكبت اللغوي من خلال موسيقى الإنسان الأسود، وعليه الانتفاضة اللغوية المنهجية التي ينادي بها ماركيوز، تفجر بها السياق اللغوي التي تستعمل بها الكلمات، لوضعها في سياق معاكس، كما ذكرنا سابقا، وهو إنكار مطلق للنظام القائم.

2- إرساء حضارة الارتواء (اللاقمعية:

إن الإنسان المعاصر في رأي ماركيوز قادر على إحداث تغيّر جذري، وتأسيس حضارة لا قمعية، تسودها حاجات من نوع مختلف عن حاجات مجتمع القهر المعاصر، تسودها الحاجة أيضا إلى السلام والهدوء والجمال والسعادة، ويلخص ماركيوز هذا النمط من الحياة الذي تسوده القيم الجديدة في عبارة الوجود السلمي(Pacified existence [8]، في كتابه الشهير الإنسان ذو البعد الواحد، وخاصة أن الحضارة الصناعية المتقدمة قد حققت منجزات من المفروض أن تخلق واقعا إنسانيا جديدا مغايرا نوعيا للواقع القائم، وزوال الاغتراب ومنه نتساءل ما هي الآليات الأساسية المعتمدة في تصور ماركيوز لاستشراف حضارة لا قمعية؟

سعى ماركيوز لتأسيس حضارة لا قمعية، متجاوزا سلبيات التنميط التي حددته عقلانية النظام، فكما يتمّ دمج ما هو ثقافي وفكري متسامي ضمن ما هو اجتماعي واقعي، كذلك يتم دمج وترويج ما هو إيروسي مع هو معطى، فيجسّد بذلك المشروع الجديد للحضارة الإيروسية. رفض ماركيوز هذه الممارسات وهذا ما جعله يدافع عن الجانب الجنسي (الغريزي) في الإنسان الذي تمّ اختزاله ومصادراته يقول ماركيوز: "ولذلك فإن نشوء مبدأ واقع جديد متضمنا التحرر الغريزي سينجم عنه ارتداد إلى ما دون مستوى العقلانية الحضارية المكتسبة. وسيكون هذا الارتداد ماديا بقدر ما هو اجتماعي فيعيد إلى حال النشاط أطوار الليبيدو السابقة المتخطاة خلال نمو أنا الواقع، ويفكّك مؤسسات المجتمع التي تقوم فيها أنا الواقع. وليس التحرر الغريزي بالنسبة إلى هذه المؤسسات سوى سقوط جديد في الليبرالية.(9)"

كما وظّف مبدأ السعادة (الإيروس) لإبراز صور الاتضاع والانصياع الذي حلّ بالطبيعة الغريزية للإنسان، وهو الأمر الذي يستدعي الاستعانة بأفكار الميتاسيكولوجية لفرويد في تأسيسه لهذه الرؤية، من ضرورة تحرير الغريزة الجنسية فيقول في هذا الصدد ماركيوز: "ونحن سنعمد إلى بحث هذه الإمكانيات بألفاظ فرويد ذاته.(10)"

غير أن ماركيوز قد سلك منحنى مغايرا لتصور فرويد حول ما يمكن أن يتطلبه كل فعل حضاري، فقد بدأ ماركيوز من حيث انتهى فرويد حين ذكر أن تاريخ الإنسان تاريخ لقمعه كما ذكر في الفصل السابق، فالإنسان يقدم تضحيات لضمان التحقق الحضاري يقول ماركيوز موضحا ذلك:"رأي فرويد هذا يبقى صادقا فقط في ظل المجتمعات الذي يحتم ضيق الإنتاج، في حين أن مجتمعنا الحالي تظهر فيه بوادر الوفرة... ولهذا أحاول إدخال تعديل على نظرية فرويد ."(12)

اعتمد ماركيوز في عرضه للمشروع الحضاري اللاّقمعي على عناصر مستوحاة من الميثولوجيا، خاصة وأنه يأمل في بناء تتكاثف فيه قوة اللّوغوس مع الإيروس وهذا ما وضحه بقوله: "إن هذه الرؤية لحضارة لا قمعية تتضمن علاقة جديدة بين الغرائز والعقل."(13)

وبهذا المعنى يريد ماركيوز أن يصحح إخفاقات الحضارة المعاصرة، مبرزا البديل الجديد ليخرج الإنسان من حلقة التنميط المستمرّ والموّجه لاحتواء الإنسان، وعلى هذا البناء يصّر ماركيوز أن يكون المشروع الحضاري غير قمعي Non-répressive تغيب فيه كل أنماط الخنوع العقلاني تدعّم النظام القائم الذي عرفه المجتمع القائم.

3 –الفن الرافض للنظام القمعي:

رأى ماركيوز أن الفن يخلق عالما جديدا من الفكر والممارسة داخل العالم القائم بالذات، كما أنه يساهم في تحرير الوعي البشري، كونه يسعى إلى تجاوز ما هو قائم لإعطاء صورة أو رؤية كما ينبغي أن يكون، وبهذا يبعث روح الرفض في الذات البشرية بفتح مجالات جديدة أمام التحرّر والانعتاق من العبودية وفي هذا المعنى يقول ماركيوز موضحا: "وبدلا من أن يكون الفن في خدمة الجهاز القائم عاملا على تحميل شؤونه، يجب أن يصبح تقنية تساعد على هدمه(...) لهذا فإن التحويل الجمالي يشكل جزءا من صيرورة التحرّر[14] The esthetic transformation is . Liberation[15].

وهو ما دفع ماكيوز يقيم مشروعه للتحرر على دعامة الفن، هذا الأخير حسب ماركيوز هو احتجاج ضد الواقع من جهة وقوة مناهضة ومتجاوزة لنظام الأشياء القائم من جهة ثانية، لذلك رأى أن الفن يلعب دورا حاسما في إثراء الوعي الجديد، وفي إكساب الحساسية الجديدة صورتها الجمالية The aesthetic Formsوعليه يمكننا أن نسأل كيف للفن أن يستحضر حاجات التحرّر؟

فالفن يقوم بانتهاك النظام القائم، وهو إذ يتجاوز ما هو معطى يفتح بابا جديدا للحرية ويبعث الذاتية الرّافضة، كما يستحضر صور أخرى نافية لهذا الواقع ويستشهد ماركيوز على هذا الفن الرّافض قائلا: "والموسيقى السوداء في جوهرها موسيقى المقهورين تبرز إلى أي حدّ ما ترتكز الثقافة العليا وتصاعداتها السامية[16] Black music is originally music of The oppressed illuminating the extent To which the higher culture and its Sublimation".

لكن رغم هذه الطبيعة المعارضة للاضطهاد هي المقياس الذي يتسم به الفن، فإن هذا الأخير يوحي بحقيقة الخضوع لقوانين مخالفة لقوانين الوضع القائم، لا بدّ أن يكون الشعور بالحاجة إلى التحرّر، وإلى ضرورة خلق حقيقة مختلفة عن الواقع السائد، وأن تكون هذه الحاجة داخلية صادرة من ذاتية الأفراد في أحاسيسهم ودوافعهم الغريزية، بمعنى الصادرة من الذات التي لا تقبل التصالح مع أنظمة المجتمع القائم، كالفنان مثلا عندما يتأمل الواقع القائم وما تمارسه مؤسساته الاضطهادية، يشعر بضرورة نفي ما هو موجود، الأمر الذي يدفع على إخلاء العالم القديم وخلق تجربة جديدة معبرا فيها عن الحرّية والسعادة، فالتغيّر الداخلي The internal changeهو تغيير على مستوى البنية الفكرية والغريزية، وعليه فإن حل

هذا الوضع عند ماركيوز يكون بإعادة تنظيم حاجات الإنسان الأصيلة ونبعث هذه الفكرة على استنتاج عامل أساسي للتحرّر وهو التجدّد في الحاجات وإشباعها، والذي يرتبط بشكل وثيق مع البنية الغريزية للإنسان، ويمتد إلى البنية الاجتماعية أيضا وبذلك تحدّد معالم البعد الفني الذي يطمح إليه ماركيوز حيث يقول في كتابه البعد الجمالي: "إن الذاتية التحرّرية تتكون من تاريخ الأفراد الداخلي، تاريخهم الخاص الذي ما هو بمماثل لوجودهم الاجتماعي إنه التاريخ الخصوص للقاءاتهم، لأهوائهم وأفراحهم.(17)"

إذن الفن الجمالي مجال نتطلع من خلاله على أبعاد جديدة لتجاوز ما هو معطى، وإلى بزوغ عقلانية مغايرة تتحدّى المؤسسات الاجتماعية السائدة التي تتحرك بدافع السيطرة، لذلك لجأ ماركيوز إلى مجال الفن الذي فيه تتجسد تطلعات تهدئة الوجود، ويكشف عن زيف الاعتقاد بالعقلانية التكنولوجية يقول ماركيوز موّضحا ذلك: "كل عمل فني جديد بهذا الاسم سيكون بهذا المعنى ثوريا مادام يهدّم تصور العالم وفهمه ويشهد ضد الواقع القائم ويرسم صورة التحرّر الخارجية.(18)"

وهكذا فالتطلع حسب ماركيوز في عالم أكثر تحرّرا يمكن أن تتيحه فيه التجربة الفنية إلى جعل الإنسان يشعر بحرّيته وسعادته دون الخضوع

للسيطرة، كما تهدف إلى التعبير عن المناخ العام، وروح العصر التي ترى في الفن خلاصا من أسر النظام الاجتماعي والسياسي.

3- النفي المطلق للنظام القائم (القطيعة التامة):

لقد أكّد ماركيوز، أن الوضع الراهن في المجتمع الصناعي وضع لا يعكس فضاء السلامة الاجتماعية، وأنّ ما يحقق له ليس إلا زيفا ووهما، إنّ إنسان البعد الواحد على نحو ما يصفه ماركيوز هو إنسان بلا ذات، منزوع الإنسانية ويحيل ذلك إلى استحالة الثورة ضمن الشروط التي يسمح بها المجتمع الصناعي المتقدّم، وهي شروط ذاتها التي يلّح على توفيرها عمدا لأنها تمتلك القدرة على تجاوز الواقع الاجتماعي والاقتصادي فماذا عن البديل الذي يقترحه ماركيوز للوظيفة الجديدة لعقلانية النظام؟

إن هدف القطيعة التامة عند ماركيوز هو تحرير الإنسان من العقلانية التكنولوجية المسيطرة، وإقامة عالم يتحرر فيه الإروس من طغيان أو التسلط العقل القمعي ويتحقق فيه بناء إنسان جديد تماما، سواء كان في علمه أو لغته أو في مطالبه الجمالية، ويتحقق فيه تحوير جذري لا في البنية الاجتماعية فحسب، بل في البنية الغريزية نفسها وتصبح حياته غائية بغير غاية[19]. لأن العقلانية التكنولوجية المعاصرة حسب ماركيوز لا تؤدي إلى امتصاص المعارضة واستيعاب الصراع الطبقي فحسب، بل

تؤدي إلى تفاقمه واحتدامه على كل مناحي البيولوجية، وهذا ما جعل ماركيوز يحرص على تطبيق مبدأ الرفض العظيم، إذ يؤدي إلى خلق طرق مغايرة جديدة تجعل المتطلبات الذاتية والموضوعية تنمو كي تفجر التناقض الاجتماعي المؤدي إلى الثورة، فكل عنصر يؤيّد مبدأ الواقع القمعي مرفوض لدى المسار النقدي الجديد الذي يؤسس له ماركيوز منطلقا من مبدأ القطيعة العامة، والذي يضاهي حجم التنميط والتشيؤ الذي صنعه عقلانية النظام يقول ماكيوز في ذلك: "إن الخطر الحقيقي للنظام القائم ليس هو القضاء عن القمع المتزايد، بل هو أن يضطرّوا للعمل من أجل حياة مختلفة للغاية، وفي ظلّ علاقات مختلفة تماما وبأخلاقيات مختلفة كلية هذا "السلب المحدّد" للنظام القائم، هذا هو البديل المحرّر "[20]

لأن مجتمع البعد الواحد والشمولي مجتمع محصّن تماما ضد النقد والمعارضة، ضد تمرّد مجتمع يحاصره التشيؤ من كل جانب، وهذا ما جعل ماركيوز يؤكد دائما على الدعوة إلى التفكير الإيجابي، ورفض كل ما هو ظاهري سعيا وراء كل ما هو حقيقي.

إن عقلانية النظام في نظر ماركيوز يجب أن تحرّر من استمرارية القمع، وأن تتحرّر من التبعية والانصياع مؤسسات المجتمع القائم. فماركيوز يجعل من القطيعة التامة البعد النافي في الفكر والفعل عاملا

لتغيير الواقع، حيث يمكن أن يكتشف له أبعاد تخدم الواقع الجديد للإنسان والحضارة لذلك نجده يتطلّع من خلال علم الجمال، والحرّية التي تجعل وجود الفرد أجمل وأحسن يقول ماركيوز في هذا السياق: "إن وجوده يقتضي الحرّية وإن السعادة هي خيره الأقصى، كلها قضايا كلية يستمد دافعها المحرّك التقدّمي من كليتها، إذ الكلية تعطيها طابعا ثوريا.[21]"

وبذلك يجعل منها ماركيوز مجالا منيرا لنضج أفكاره على الرغبة في تجاوز الواقع. اقترح ماركيوز أن يعاد توجيه التكنولوجيا حتى تكون أكثر ملائمة، وأن تتحرّر قوّتها من أدائها السياسي، أي أن يتمّ تخليصها من خدمة الأغراض السياسية التي تسعى إلى السيطرة ذلك ما يوضحه ماركيوز قائلا: "على العلم والتقنية كي يصبح في مقدورهما أن يكونا عاملي تحرير، عليهما أن يبدّلا اتجاههما وأغراضهما الرّاهنة.[22] "

إن موقف ماركيوز جاء كإجراء ينظم العلاقة بين فعالية التكنولوجيا، و صورة العمل السياسي بعيدا عن إيديولوجية القمع، لذا يصّر ماركيوز في هذا النطاق على إعادة تعديل مسار العقلانية التكنولوجية فكل تحوّل في الواقع التكنولوجي يرافقه تحوّل سياسي ويلزم عنه كذلك تغيّر اجتماعي. وهذا ما يوحي إلي أن التغيّر الكيفي في أداء التكنولوجيا يمكنه بتوسيع تطلّعات حضارية جديدة مناقضة لعقلانية النظام.

4-قوى جديدة للثورة:

إن الفرضية التي بنى عليها ماركيوز افتراضه في أن البروليتاريا أصبحت غير ثورية نتيجة اندماجها واحتوائها في النظام الرأسمالي، هي في أساسها الفرضية التي يؤسس من خلالها ماركيوز موقفه تجاه القوى النافية الجديدة، وهذا بعد تفسير ماركيوز لنظرية الثورة الماركسية، وجد أنها قد تجاوزها الزمن، ولم تعد سارية المفعول، وفقدت ثوريتها لأنها أصبحت جزءا من النظام القائم، فهذه أخفقت في تأدية دورها التاريخي كطبقة ثورية، وهذا نتيجة التطوّرات التي أحرزتها المجتمعات الصناعية المتقدمة في مطلع القرن 20، التي تستخدم التكنولوجية الحديثة في العملية الإنتاجية التي أدخلت تحسينات على الإنتاج كمّا وكيفا فأي طبقة مؤهلة للثورة في نظر ماركيوز؟

وهذا ما دفع ماركيوز إلى أن يقلل من شأن طبقة البروليتاريا، ويحطّ من شأنها بحكم احتوائها في النظام القائم حتى وأصبحت عامل استقرار بعدما كانت في الماضي أساس التغيير الاجتماعي: "إن الموقف السلبي للطبقة العاملة يضعف ويتراخى في عالم العمل التكنولوجي الجديد ولا تعود الطبقة العاملة تمثل ذلك النقص الحي للمجتمع القائم."[23]

بعد محاولة ماركيوز بشتى الطرق البرهنة على عدم فاعلية نظرية ماركس الثورية، على أساس أنها قد أصبحت تقليدية "لأن الطبقة العاملة وجدت نفسها مندمجة بالنظام الاقتصادي، وكنتيجة لذلك فقدت فعاليتها كعنصر ثوري"[24]، لذلك لا بدا له أن يفكر في بديل لهذه القوة التقليدية ويؤكد على ضرورة أن تتموقع قوى التغير من خارج النسق العام، وعليه فالقوى الجديدة التي يمكن أن تقوم بالتحويل الجذري في نظر ماركيوز، والتي من المحتمل أن تكون قادرة على المعارضة الثورية لكلا النظامين، ويشترط في هذه أن تكون ذات وعي تاريخي، كما يجب أن لا تكون مندمجة في إطار العملية الإنتاجية هي فئة الشباب والطلبة، لأن هذه لأخيرة لها من أدوات وآليات التي تبقى سمات القمع المستمر في النظام القائم وهذا ما جعل ماكيوز يعتقد "الحركة الطلابية تمثل بالنسبة ماركيوز، نقطة تحوّل فهم إذ يعلنون مبادئ "المعارضة الدائمة"، "التربية الدائمة" و"الرفض العظيم" فإنهم يعترفون ضمنا بالطابع القمعي للمجتمع القائم، لذلك المجتمع الذي ينبغي إدانته وتحويله من الجذور."[25]

لقد وجد في هذه الفئة إمكانية التناقض الحي والمفجّر للنظام القائم، واهتمام ماركيوز في حقيقة الأمر بالحركة الطلابية هي أحداث ماي 1968 التي عرفتها الجامعات الغربية، التي شهدت ظهور معارضة

جذرية جديدة تمثلها فئة الطلبة والشباب معبّرين في احتجاجهم عن المطالب الجمالية، لذا أعدّ ماركيوز مجموع العوامل الذاتية من حساسية جديدة وعقل وخيال، لينتقل لتحديد العوامل الموضوعية وهي قوى التحرّر "ويمثل ماركيوز إلى تسمية قوى النفي الجديدة (داخل النظام الرأسمالي) باسم حركة اليسار الجديدة تميزا لها عن اليسار القديم."[25]

والملاحظ أن حركة اليسار لا تتناسب من حيث قوتها وإمكاناتها مع حجم الوصف، الذي ضمّنه ماركيوز لهيمنة مجتمع السيطرة، فهذه العوامل الموضوعية الجديدة التي يراد لها أن تعوّض عناصر التحرّر عند ماركس، لا تملك القوة الكافية لإحداث التغيير الكيفي على نظام السيطرة الفعال، ومنه فبديل ماركيوز يقتضي عنصر الذاتية التاريخية الجديدة للتغيير، كما يلاحظ أن ماركيوز عندما يتحدث عن المجتمع الصناعي المتقدم لا يقيم تميزا بين المجتمع الليبرالي أو الاشتراكي، فهو يقوم أو يعالج في تحليلاته النقدية بإبراز القدرة الهائلة، التي أصبحت تتمتع بها السيطرة العالمية للرأسمالية الاحتكارية، والتصور المنحرف للاشتراكية عن الأهداف الحقيقية لها.

ومع ذلك يشير ماركيوز على ضعف قوى التحرّر الجديدة، أو ما يسميها باليسار الجديد ومن الظاهر أن "مهمة هذه القوى هي بالدقة مهمة

تمهيدية، هي التنوير بالنظرية والممارسة"[26]، لكن رغم كل هذا ماركيوز يضعف من أهمية الفئات السابقة أي الشباب والطلبة، من أنهم حركات تمرّدية، ليسوا هم القوى الثورية الجديدة، فهم مجرّد خميرة أمل كشفت عن رفض المجتمع القائم.

خاتمة:

نستنتج في الأخير في هذه الدراسة جملة من النتائج أهمها: أن هربرت ماركيوز لم يلغ الطابع المقبول في النموذج الحضاري، إنما دعا إلى إحداث تغيير كيفي في كل المجالات، بغرض أن تكون العملية الإنتاجية موجهة لخدمة الإنسان لا استعباده بطرق خفية، وأساس هذا التغيير تأكيده المستمر على ممارسة النقد، الذي ينطوي على رغبة تحاور الواقع لأنه عنصر تنويري ويجعلنا نسعى إلى التعرف على ذاتنا الحضارية الخاصة.

هوامش البحث

(1) Herbert Marcuse : An Essay on liberation, Beacon Press, Boston, 1969, p22.

(2) Ibid. p23.

(3) Ibid. p30.

(4) Ibid, p.12

(5) Ibidem.

(6) Ibid. p29.

(7) Ibidem

(8) Herbert Marcuse: One Dimensional Man, Beacon Press, Boston, 1964, p250.

(9) هربرت ماركيوز: الحب والحضارة، تر: مطاع صفدي، دار الطليعة، بيروت، 1969، ص216 .

(10) المصدر نفسه، ص217.

(11) المصدر نفسه، ص216.

(12) المصدر نفسه، ص215.

(13) هربرت ماركيوز: الإنسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ص250.

(14) Herbert Marcuse: One dimensional man, p244.

(15) Herbert Marcuse: An essay on Liberation, p36.

(16)هربرت ماركيوز: البعد الجمالي، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1982، ص11.

(17)المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(18)حسن محمد حسن: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت – ماركيوز نموذجا، ط1، بيروت، لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر، 1993، ص179.

(19)هربرت ماركيوز: فلسفة النفي، دراسات في النظرية النقدية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت، لبنان، دار الآداب، 1971، ص256.

(20)المصدر نفسه، ص160.

(21) Herbert Marcuse, An Essayon Libertation, p19.

(22) هربرت ماركيوز: الإنسان ذو البعد الواحد، ص250.

(23) Robert W. Marks, The meaning of Marcuse, Ballantine Books, New York, 1970, p38.

(24) حسن محمد حسن: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت – ماركيوز نموذجا، ص218.

(25) المصدر نفسه، ص210.

(26) قيس هادي أحمد: الإنسان المعاصر عند هربرت ماركيوز، ط1، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، 1980، ص160.